

في نور محمد فاطمة الزهراء

أثير، كانت معتزّة به أيما اعتزاز، دائماً كانت تفصح عن حبّها له، وفخرها به، فتترنّم مغرّدةً: هذا أخٌ لي لم تَلِدْهُ أُمِّي *** وليسَ مِن نَسْلِ أَبِي وعمِّي فَأَنَمِهِ اللّٰهُمَّ فيمن تُنْذِمِي [247] أحياناً كانت ترقّصه، وهي تغنّي على وقع حرّكاته: يا ربّنا أَبَقِ لَنَا مُحَمَّدًا *** حتّى أراه يافِيعاً وأَمَرْدَا ثم أراه سيّداً مسوّداً *** واكْبِتْ أَعَادِيهِ مَعَا وَالْحُسَّـدَا وأعطه عزّاً يدوم أبداً مرّة خرجت به إلى البادية، تلاعبه وتشدو له، فاستغرقها اللعب والشدو، حتّى علت بهما الطهيرة، واشتدّت عليهما وقدة الهجير، فإذا أُُمّها: حلّمة السعدية عند رأسها، تخطفه من بين ذراعيها، وتضمّه إلى صدرها، عسى أن تحميه من نار الشمس الملتهبة، ثم تصيح غاضبةً بابنتها الشيماء: ويحك! في هذا الحرّ؟ فتنبري الابنة، تردّ عن حلّمة خوفها عليه: يا أمه، ما وجد أخي حرّاً! وتضيف وهي ترفع إصبعاً تشير بها إلى بقعة رمادية سابحة في السماء: رأيت هذه الغمامة تظلّ عليه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت [248]. وكان حقّاً ما قالت الصغيرة. وامتلات حلّمة السعدية عندئذ رضىً وطمأنينة، وضمت في أحضانها الرضيع وهي تدعو له: أعود بأبي من شرّ ما نحذر على ابني. وعادت به، والدنيا كلّها في عينيها المتألّقتين رجاء ومحبةً ونور. وأيديّ، والزمن يسير، وتترى الآيات والبشارات، على امتداد عمر هذا الوليد، تبين للعالمين، أنّاً بإلماح وآناً بإفصاح، أنّّه هو البشير النذير.